تحوُّلات القيم الجماليَّة بين الشَّام والحجاز في شعر حسَّان بن ثابت

Hassân bin Sâbit'in Şiirinde Şam ve Hicaz Arasındaki Estetik Değer Kaymaları

Transformations of Aesthetic Values Between Levant and Hejaz in the Poetry of Hassan bin Sabet

Ousama EKHTIAR / أسامة اختيار

Prof. Dr., Bingöl Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi, Temel İslâm Bilimleri Bölümü, Arap Dili ve Belagatı Ana Bilim Dalı

Prof. Dr., Bingol University, Faculty of Theology, Department of Basic İslamic Sciences, Arabic Language and Rhetoric

Bingöl / Turkey

oekhtiar@bingol.edu.tr

ORCID: 0000-0002-8511-0545

DOI: 10.34085/buifd.780090

Öz

Şiirdeki estetik değerler epistemik delalet ile bağlantılıdır. Diğer taraftan, mekân ile olan ilişki şiirdeki o değerlerden bir parça olarak görünmektedir. Bu noktadan hareketle bu çalışmada, Hassân bin Sâbit'in şiirinde Hicaz ile Şam arasındaki estetik değerler ele alınacaktır. Bu konuyu bizim için önemli kılan husus, Hassân bin Sâbit'in Hicaz ve Şam'a karşı bakışında değişen ve değişmeyen unsurları ve özellikle Hassân'ın cahiliye zamanında Şam'a yaptığı yolculuklar esnasında kaleme almış olduğu el-Kasâidü'ş-Şâmiyye'de Hicaz ve Şam ile ilgili mekânın çerçevesini tespit edebilmektir. Bu bağlamda çalışmamızın birinci bölümünde, Hassân bin Sâbit'in şiirlerinde bedevilik ile temeddün arasındaki estetik değerlerin kaymaları incelenecektir. İkinci bölümde ise, Hicaz'a karşı vefa ile beraber Şam medeniyetine karşı sevinç tasavvuru ele alınacaktır. Genelde temel olarak, Hassân bin Sâbit'in İslâm'dan önce Hicaz ve Şam ile ilişkisine dair şiirsel kişiliğini ortaya koymak için, el-Kasâidü'ş-Şâmiyye'de geçen Hicaz tasavvurundaki manevi estetik ve hissî estetik inşaları tespit etmek amaçlanmaktadır.

Anahtar Kelimeler: Hassân bin Sabit, Şam, Hicaz, Temeddün, Estetik değerler.

Abstract

The aesthetic values in poetry are related to the epistemic connotation, and the relationship to the place appears to be part of those values in it, from this point of view, we study in this research the aesthetic values between Hejaz and Levant, in the poetry of Hassan bin Sabit. The importance of this study comes from that we seek to know the constant and the transformed in Hassan's view of Hejaz and Levant, and we define the framework of the place in Levant and Hejaz in his poems related to Levant specifically, which Hassan said in the pre-Islamic era, and to achieve this purpose we divide the research into two parts, in the first section we study The transformations of aesthetic values in his poems between Bedouin and Medinan, and in the second section we deal with his fulfillment of Hejaz with rejoicing in the King's presence in Levant. Our goal from this research is to determine the aesthetic, sensual and aesthetic structure found in his poetry about the topic of Levant and Hejaz, so that we can then know the personality of Hassan about his relationship with Levant and Hejaz before Islam.

Keywords: Hassan bin Sabit, Levant, Hejaz, Urbanism, Aesthetic values.

ملخص البحث

ترتبط القيم الجماليَّةُ في الشعر بالدلالة المعرفيَّة، وتبدو العلاقة بالمكان جزءاً من تلك القيم فيه. من هذا المنطلق ندرس في هذا البحث القيم الجماليَّة بين الحجاز والشَّام في شعر حسَّان بن ثابت، وتأتي أهميَّة هذه الدراسة من أنَّنا نسعى إلى معرفة الثابت والمتحوِّل في نظر حسَّان إلى الحجاز والشام، وسوف نحدِّدُ إطارَ المكانِ بالشام والحجاز في القصائد الشاميَّة، وهي التي نظمَها حسَّان في رِحَلِهِ إلى الشام زمنَ الجاهليَّة، وتحقيقاً لهذا الغرضِ نقسم البحثَ إلى قسمين، نتناول في القسم الأوَّل تحوُّلاتِ القيم الجماليَّة في أشعاره بين البداوة والتمدُّن، ونتناول في القسم الثاني الوفاءَ للحجاز مع الابتهاج بحاضرة الملك في الشَّام، وهدفُنا من البحث تحديدُ البناءِ الجماليِّ الحسيِّ المدرَك، والبناءِ الجماليِّ المعنويِّ، الماثلَين في صورة الحجاز في سياق القصائد الشاميَّة، ممَّا يمكِّنُنا من معرفة شخصيَّة حسَّان الشعريَّة فيما يخصُّ علاقتَه بالشَّام والحجاز قبل الإسلام.

الكلمات المفتاحية: حسَّان بن ثابت، الشَّام، الحجاز، التمدُّن، القيم الجماليَّة.

القيمة الجماليَّة ودلالتُها المعرفيَّة

الشعر بنيَّةٌ فنيَّةٌ معرفيَّةٌ جماليَّةٌ، فمن الشعر يستمدُّ العقل المعرفةَ، مثلما تستمدُّ الروح منه الإحساسَ بالجمال، من هذه الناحية لا ننظر إلى الشعر من جهة أنَّه يخاطب الروح فحسب؛ لأنَّ الجانب المعرفيَّ منه يبقى ماثلاً في التشكيل الفنيّ، فالقراءة العميقة للنُّصوص الشعريَّة كفيلةٌ بأن تكشف لنا المستوى الضمنيَّ للقصيدة التي تخفي في بنيتها العميقةِ بناءً معرفيّاً جماليّاً يمكِّننا من أن نفهم علاقاتِ المجتمع بأفراده، وأن ندرك الثابتَ والمتحوِّل في كلٍّ منها، تلك البنى المعرفيَّة هي في حقيقتها جزءٌ من البناء الجماليِّ للقصيدة، وذلك البناءُ الجماليُّ ذو إطارين، حسيٌّ ظاهرٌ يقتصر على معرفة المُدرَك الجماليِّ بالحواس المعروفة، وداخليٌّ ضمنيٌّ يتجاوز معرفةَ المدرَك الحسيِّ إلى المدرَك المعنويِّ، وهنا تبدو المعرفة التي يمليها الشعر جزءاً من تاريخ المرحلة التي نُظِمَ فيها، ونمطاً من أنماط التَّعبير عن التَّشكيل المعرفيِّ الذي تنطوي عليه المرحلة الزمنيَّة التي تنتمي إليها القصيدة، فضلاً عن المكان الذي تنتمي إليه في سياق الإبداع الشعريّ، بذلك تتَّسع هويَّة الشعر، وتمتدُّ وظيفتُه لِتصبحَ مادَّةً معرفيَّةً كاشفةً لمرحلةٍ من حياة الشاعر أو القبيلة أو الأمَّة، تلك المرحلة لا تنضوي على المشاعر الإنسانيَّة فحسب، إنَّها تشفُّ أيضاً عن جانبٍ مهمٍّ من تاريخ المرحلة من النَّواحي الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة، وما إلى ذلك.

إنَّ التَّاريخَ هنا ليس وصفاً زمنيّاً لِمُلْكٍ اضمحلَّ، أو آخر ينهض ليحلَّ محلَّه، إنَّما هو حديث التصوُّر المعرفيِّ لكلِّ الظروف المتعلِّقة بمجتمعٍ ما من المجتمعات، في ظلِّ حقبةٍ تاريخيَّةٍ معينَّةٍ، أو حقبٍ متتاليةٍ، على الرغم من أنَّ الشعر يكسو تلك المعرفة أحياناً بِلَبوسٍ من الأحاسيس الإنسانيَّة والإيقاع الشعري على نحوٍ يُشعِر المتلقِّيَ السَّاذَج أنَّه بصددِ قراءة نصٍّ شعريٍّ غنائيٍّ فحسب، لكنَّ المتلقِّيَ المثاليَّ قادرٌ على قراءة تاريخِ مرحلةٍ ما، أو خصائصِ مجتمعٍ ما، من خلال جنسٍ من الكلام يُبطِنُ كثيراً من المعاني، كما يُظهِر غيرَها، ذلك الجنس الكلاميُّ هو الشِّعرُ.

لا نقصد هنا بالتَّاريخ صورتَه المعروفة عند المؤرِّخين، بوصفه علم الحوادث والأيَّام، بل نقصد تاريخَ القصيدة، بوصفها وثيقة معرفيَّة تمثِّل تفصيلاتِ الحياة في مجتمعٍ ما، وعلاقة تلك التفصيلات بالتشكيل الفني من جهة، وشخصية الشاعر ودوافعه الذاتيَّة من جهة أخرى.

من هذا المنطلق، نسعى في هذه الورقات الموجزة إلى رسم صورة للشام بوصفها المكان المذكور في شعر أحد أبرز الشعراء المخضرمين وهو حسَّان بن ثابت الأنصاري، لكننا سوف نخصُّ هذا البحثَ بالقسم الجاهليّ من شعره في قصائده التي نظمَها خلال رحلته إلى الشام قبل الإسلام، لنرسم صورةً لِتحوُّلات القيم الجماليَّة فيها، من جهة المقابلة بين حياة البداوة التي عاصرها في الحجاز، وحياة التمدُّن التي عاصرها في الشام.

نريد أن ندرك كيف تبدو تحوُّلاتُ القيم الجماليَّة في أشعار حسَّان المتعلِّقة بالشام من جهة التشكيل المعرفيِّ لأشعاره التي تكشف عن شخصيَّته في مرحلة ما قبل الإسلام؟ إنَّنا سنمضي في التماس الإجابة بسبرِ أغوار ذلك القسم من أشعاره لكي نحدِّد من خلاله علاقته بالحجاز، ولنحدِّد من خلاله انتماءَه الوجدانيّ، وطبيعة علاقته بالحجاز والشام، ونهدف إلى أن نمحِّص تحوُّلات القيم الجماليَّة من جهة القيم الجماليَّة المستنبَطة من أشعاره المتعلِّقة بهذا الموضوع، للوصول إلى حقيقة إدراكِه لمفهومَي البداوة والتمدُّن في الجاهليَّة، وحقيقةِ إدراكِه لمتغيّرات الحياة الاجتماعيَّة في العصر الجاهليِّ في مكانين مختلفَين، على الرغم ممَّا بينهما من التباين يتقاسمان كثيراً من القيم الجماليَّة.

تحوُّلات القيم الجماليَّة بين البداوة والتمدُّن

نرصد تحت هذا العنوان تحوُّلاتِ القيم الجماليَّة في شعر حسَّان الذي نظمَه زمنَ الجاهليَّة، وما نسعى إلى فهمِه هنا هو رسم صورة لِتحوُّلات القيم الجماليَّة من منظور الشاعر إلى المكانين (الشام والحجاز)، ومن المعلوم أنَّ حسَّان ارتحلَ إلى الشام مرَّاتٍ قاصداً الغَساسنةَ بالمدحِ، وكان ذلك اتصالاً مباشراً له بهم، وقد أسَّسَ الغساسنةُ في الشام حضارةً مَلَكِيَّةً جرى حكَّامُها المتعاقبين على سَنن الملوك في الحكم والإدارة والتنظيم، في حين بقي الحكمُ في شبه جزيرة العرب قائماً على نَهج زعامة العشيرة، فكان زعيم العشيرة سيِّدَ القبيلة، لكنَّ سلطتَه مهما طغَت من القوَّة لم تكن لِتبلغَ مبلغَ سلطةِ الملوك في ممالكهم؛ لأنَّ العرب في الحجاز وتهامة ونجد من سكان الوبرِ والمَدَرِ على حدٍّ سواء كانوا يأنفون أن يُساسوا كما تَسوسُ الملوكُ رعاياها، وممَّا يدلُّ على ذلك أنَّه حين بزَّ كُليبُ بنُ ربيعةَ التغلبيُّ، فملكَ قومَه مدَّةً يسيرةً، نفرَ منه خلقٌ كثيرٌ، على الرغم من أنَّ مُلكَه انساحَ في تغلب وبكر مِن ولدِ وائل، وطرفاً من ربيعة العدنانيين، غير أنَّ ذلك المُلكَ سرعان ما أفضى إلى مقتلِه، وكان حكمُه للناس على طريقة الملوك من أحد الأسباب التي أفضَت إلى تلك الفتنة، فضلاً عن السبب الظاهر المعروفِ المتعلِّق بِقصَّة عَقْرِه لناقة البسوس التي استباحَت الحمى الذي حماه جرياً على عادة الملوك من الغساسنة الموالين للروم في الشام، والمناذرة الموالين للفرس في العراق، ويبدو أنَّ ما تحمله الحياة في أرض الحجاز من مشقَّاتٍ دفعَت إلى صعوبة تأسيسِ نظامٍ مَلَكيٍّ، فلا يخفى أنَّ ندرة موارد الأرزاق هناك، وطبيعةَ العرب الجافية، وأعرافَهم المتوارثة، تركَت آثارَها الظاهرة في صعوبة تأسيس حكمٍ يقوم على المُلك في الحجاز زمنَ الجاهلية.

ذلك الجانب المتناقض بين الحياة في الحجاز والحياة في الشام وجدناه حاضراً بجلاءٍ في أشعار حسَّان بن ثابت التي نظمَها حين ارتحل إلى الشام ذاكراً فيها الحجاز، وقد ارتسمَت في تلك الأشعار صورتان متناقضتان تُظهِران البداوةَ

والتمدُّن في شعره الذي ذكرَ فيه الشام، وسيطرَت على تلك القصائد في الشطر المتعلق منها بوصف الرحلة إلى الشام من بلاد الحجاز ملامحُ جديرةٌ بالملاحظة، فقد ظهرت صورةُ الحياةِ المدنيَّة في الشطر الشاميِّ من القصيدة، ثم نجد الشاعر يعود ليتعرَّض في سياقها إلى طبيعة الحياة في الحجاز، في تأكيدٍ صريحٍ يبرهنُ لِمَا نذهب إليه من حضور تلك المقابلة المكانية بين موقفَين، شظفِ العيش في الحجاز، ورغدِ الحياة في الشام. نجدُ ذلك مثلاً في قصيدته اللامية التي مدحَ بها ملوكَ الشام من الغساسنة، ومنها قوله[1]:

لِلَّهِ دَرُّ عِصـــــابَةٍ نادَمتُهُـــمْ يَـوماً بِجِلَّقَ[2] في الزَّمـــانِ الأَوَّلِ

أَولاد جَفنَـةَ[3] حَـولَ قَبرِ أَبيهِـمُ قَبرِ ابنِ مارِيَةَ[4] الكَريمِ المُفْضِـلِ

يُغشَـــــونَ حَتَّى ما تَهِرُّ كِلابُهُم لا يَسـأَلونَ عَنِ السَّوادِ المُقبِلِ

يسـقُونَ مَنْ وَرَدَ البَريصَ عَلَيهِمُ بَرَدى[5] يُصَفِّقُ بِالرَّحيقِ السَّلْسَـلِ

يسـقَونَ دِرياقَ الرَّحيقِ وَلَم تَكُن تُدعَى وَلائِدُهُم[6] لِنَقفِ الحَنظَـلِ[7]

بيضُ الوُجوهِ كَريمَةٌ أَحســابُهُم شُـــمُّ الأُنوفِ مِنَ الطِّرازِ الأَوَّلِ

يمدح حسَّان في هذه الأبيات آلَ جفنةَ، ملوكَ الغساسنةِ في الشام، بما يُمدَح به العربُ عادةً من أصالة النسب والحسَبِ والكَرَمِ والأَنَفَةِ، وإذا كان المعجم الأخلاقيُّ للمدح، مشتركاً بين الحجازيين والشاميين، فإن المجالس المترفةَ في مملكة الغساسنة صفةٌ فارقةٌ لافتةٌ للنَّظر تظهَر في سياق المدح لتدلَّ على صفة التنعُّم بحياة التمدُّن، كتلك الصفة التي كَنَّى عنها الشاعر بولائد الغساسنة اللواتي لا يُدْعَينَ لِنَقْفِ الحنظلِ لاستخراج ما فيه ليكون طعامَ أيَّامَ الشدَّة، ذلك أنَّ العربَ في أيَّامِ الجوع كانوا يجِدُّون في جمعِ الحنظلِ، فيُجمَع، ثمَّ يُنْقَفُ لإخراج حَبِّه، فيطبخ ليكون طعاماً، وإنَّما ذكرَه حسَّان

---

[1] حسَّان بن ثابت الأنصاريُّ الخزرجيُّ، ديوانه، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1331هـ، 247- 248.

[2] جِلَّق: لفظة أعجميَّة، ومَن عرَّبها قال: هي من جلَّقَ رأسَه إذا حَلَقَه، وهي اسمٌ لِكورة الغوطة كلِّها، وقيل: بل هي دمشق نفسها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م، (جلق)، 2/ 154.

[3] آل جَفْنَة من غسَّان، وهو جَفنةُ بن عمرو بن عامر، وهم ملوك الشام قبل الإسلام، يمانيَّة، ارتحلوا إلى الشام بعد انهيار سدِّ مأرِب. ملكَ منهم في الشام ثلاثون ملكاً من بني الحَرْث بن معاوية، وهو الحَرْثُ الأكبر، إلى أن جاء الإسلام، وكلُّ الأوس والخزرج غسانيٌّ إلَّا من كان منهم بِعُمان. أبو الحسن اليمنيُّ القرطبيُّ، التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب، دار المنار، القاهرة، 1990م، 171.

[4] مارية: هي أمُّ الغساسنة، ماريةُ بنت أرقم بن ثعلبة، ذات القرطين. انظر: ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط5، د.ت، 372.

[5] بردى: نَهرُ دمشقَ، سُمِّي بذلك لِبَرَدِ مائه، والبَريصُ – المذكور في صدر البيت– أحدُ فروعه.

[6] الولائد: الجواري، يقال للذَّكر وليد، جمعُه وِلدان، وللأنثى وَليدة، جمعها ولائد. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، (ولد) 3/ 471.

[7] الحنظل الشَّجرُ منَ الأغلاث، ويقال له: الشَّرِيُّ أيضاً، ثمرتُه مُرَّة. ابن منظور، لسان العرب، (حنظل) 11/ 183.

تلميحاً إلى أنَّ الغساسنة في الشام كانوا في سَعَةٍ من العيش تُغنيهم عن أن يكون ذلك من أقواتهم، فسُقياهم من رحيق الخمر، وفيما حولهم من الأقواتِ غِنًى لهم عن أن يجعلوا طعامَهم من لُبِّ الحنظل[8]:

يسـقونَ دِرياقَ الرَّحيقِ، وَلَم تَكُن تُدعَى وَلائِدُهُم لِنَقفِ الحَنظَــلِ

تكشف صورة الولائدِ اللواتي لا يجمعْنَ الحنظلَ عن دلالتين كنائيتين ضمنيتين، دلالةٍ كنائيَّةٍ تشفُّ عن حياة الرَّغدِ في مملكة الغساسنة في الشام، ودلالةٍ كنائيَّةٍ أخرى كامنةٍ في استحضار صورة حياةِ الشَّظَفِ في الحجاز حيث يجتهد سكانُه في تحصيل القوت من كلِّ شيءٍ يقع تحت أيديهم لِقلَّةِ الموارد، فلا خيارَ لهم في الاصطفاء، ولا سيَّما إذا أصابهمُ القحط، حتَّى إنهم قد يقتاتون على المرِّ من النَّبْتِ.

وقد سُبِقَت صورة الحنظل في التركيب المنفيِّ (لم تكن تُدعَى ولائدهم لِنَقفِ الحَنْظَلِ) بصورتين للسُّقيا المُنعَّمة في الشام، صورة البَرِيص، وهو فرع من نهر بردى، نهرِ دمشقَ الأشهر الذي يتفرَّع فيها فيسقي غُوطتَيها، ثمَّ صورة سُقيا الرَّحيق، وهي أجودُ الخمر، ولهذه الخمرِ صفاتُها التي تلحقُ بها في حياة التمدُّن، من جهة أنواعها ومجالسِها وسُقاتها، وهي تظهَر في الشعر الشامي لحسَّان في أكثر من قصيدة، وسنقف عليها في أبياتٍ لاحقةٍ من هذا البحث.

ما يهمُّنا هنا أنَّ الشاعر يذكر زماناً قضاه في حِلَّقَ، ويذكر مجلسَه في أبناء جَفْنةَ من ملوك الغساسنة، ثمَّ يمضي إلى مدحهم بمعجمٍ لفظيٍّ عامٍّ مشترَكٍ بين معاني المدح الحجازيِّ ومعاني المدح الشاميِّ، لكنَّ حسَّان على الرغم من هذا الجانب المشترَكِ بين معاني المدح الحجازية والشامية كان فَطِناً لِتحوُّلات القيم الجماليَّة المتغيِّرة بتغيُّرِ المكان، فمضى ليخصَّ حاضرةَ الغساسنة في الشام بما تختصُّ به من رغد الحياة التي لا يجدها في أرض الحجاز التي اتَّسَمَت بشظفِ العيش وقسوة الحياة. هذه المقابلة بين المكانين مرهونةٌ بما لكلٍّ منهما من طبيعةٍ خاصَّةٍ، فنجد الشاعر في مطلع قصائده الشاميَّة يقف على الطلل ويستحضر وصفَ الرحلة من الحجاز إلى الشام، بما فيها من مشاهد الديار الدوارس، والرسوم البلاقعِ، ويُشعِرُنا بما يكابده من الحزن، فيبكي تلك المنازلَ، إذ يراها خلاءً، قد فارقَها ساكنوها، وارتحلوا عنها بحثاً عن الكلأ، لكنه حين ينتهي به المطاف في الشام يستهلُّ هذا القسمَ بالبشائر، فيذكر مظاهرَ الحياة المدنيَّة في الشام، ويربطها بأسبابها من سَعَةِ الموارد وكثرة الماء، فيذكر نهرَ (بردى)، ويذكر السُّقيا من مائه العذب، والسُّقيا من خمر الشام الرحيق، ويجعل لتلك الخمر صفة (الدرياق)[9] أو (الترياق)[10]، وهما لغتان للخمر الخالصة الجيِّدة التي تشفي من الهمِّ والسُّقم، ثمَّ يعطف على ذلك بصورة الولائد اللواتي لا ينقفْنَ الحنظلَ، وكأنَّه أراد أن ينقلنا إلى أنهنَّ في أرضٍ فيها من الخير ما يغنيهنَّ عن الحنظل، ذلك النبات المرُّ الطَّعمِ الذي ينتشر في الحجاز، ويأتي بصورة الحنظل في سياق مقابلةٍ تصويريَّةٍ ضمنيَّةٍ غير صريحة ليحملَ المتلقيَ على الاستحضار الذهنيِّ لنمط الحياة في الحجاز في سياق ذِكْرِه لنمط الحياة في الشام.

تلك المقابلةُ تُظهِر تحوُّلاتِ القيم الجماليَّة بين المكانين في شعره، وحين نقول إنَّها قيمٌ جماليَّة، فالمرادُ من ذلك أنَّ حسَّان، وإنْ أدهشتْه حياةُ الترف في الشام، قد بقي وفيّاً للحجاز على الرغم من قسوة الحياة فيه، وإنَّما كان ذلك

[8] حسَّان بن ثابت، ديوانه، 248.

[9] حسَّان بن ثابت، ديوانه، 248.

[10] انظر القصيدة في المصدر نفسه، 312.

لمقتضًى وجدانيٍّ، هو الوفاء لأرضٍ ترعرعَ فيها، وعَلِقَها قلبُه، مهما اشتدَّت عليه الحياةُ فيها، ويبدو أنَّ تلك الحياة المترفةَ التي شهدَها حسَّان في مملكة الغساسنة جعلتْه يتساءل في مطلع القصيدة عمَّا للأطلال من حقِّها عليه، من وجوبِ الوقوفِ عليها، إذ راحَ يتساءَل عن ذلك في مطلع قصيدته دفعاً لِمَظنَّة نسيانِه لذلك الوقوف، أو تنبيهاً على ما أذهلَ عقلَه من جمال الشام، وهذا ما جعله لا يدرك إنْ أعطى الطَّللَ حقَّه من الوقوف، أو أنَّه تعجَّلَ أو سَها عن شيءٍ من موجباته، وهذا يدلُّ على حضور ديار الحجاز في ذهن الشَّاعر قبل أن ينصرف في القصيدة إلى ذكرِ طِيبِ العيشِ في الديار الشاميَّة، ولا تظهر القيمةُ الجماليَّة للمكان في مقدمة الطلل هنا في مظاهر خرابِه، إنَّما في مظاهر وفاء الشاعر له، إذ لم ينسَ ما له من الحقِّ عليه، على الرغم من الانبهار بحياة الرفاه في كنف الغساسنة في الشام. إن جمال الطلل هنا معنويٌّ، يشبه إلى حدٍّ بعيدٍ قولَ ابن سينا في حديثه عن مثل هذا الضَّربِ من الجمال: "جمال كلُّ شيءٍ وبهاؤهُ هو أن يكون على ما يجبُ له"[11]، ومَبعث جمالِ الطلل كامنٌ في وفاء الشاعر لِذكرياته فيه، وما يحمله من الحبِّ لساكنيه الراحلين عنه، ولذلك لم يُنْسِه جمالُ الشام طللَ الحجاز، هذا ما يشفُّ عنه البناء الضمنيُّ للصيغة الاستفهاميَّة في البيت الأوَّل وما يليه من قصيدته اللاميَّة حين تساءَل الشاعر إنْ كان قد استوفى الرَّسمَ حقَّه من السؤال، ثمَّ نراه يعدِّد مواضعَ تلك الرسوم على سبيل التلذُّذ بذكرِ أسمائها، كذلك يصرِّح بِذكرِ اسمِ المحبوبةِ، يقول[12]:

أَسَأَلتَ رَسمَ الدَّارِ أَمْ لَم تَسأَلِ ... بَينَ الجَوابي فَالبُضَيعِ فَحَومَلِ

فَالمرجِ مَرْجِ الصُفَّرَينِ فَجاسِمٍ ... فَدِيارِ سَلمى دُرَّساً لَم تُحلَلِ

فَالعَينُ عانِيَةٌ تَفيضُ دُموعُها ... لِمَنازِلٍ دَرَسَتْ كَأَن لَم تُؤهَلِ

إنَّ القراءة العميقة لِصدرِ البيت الأوَّل تكشف سَعْيَ الشَّاعر إلى رسم مشهدَين لمكانين مختلفَين من حيث طبيعة الحياة الاقتصادية، وإن كانا متشابهين من حيث معجم القيم الأخلاقيَّة المتعلقة بالمفاخر، ممَّا يومئ إلى أن الشاعر ما زال مستحضراً في مخيلته صورةَ الحياة في الحجاز، لذلك مهَّد لمدحته بوصف الرسوم في طريقه من الحجاز إلى مداخل الشام، لينتقل بنا إلى مشهد الحياة في الشام بما ترفلُ فيه من النعيم في ظلِّ ملوك الغساسنة، ثمَّ أتى بصورة الحنظل الذي لا يُقطف في الشام لتكونَ المعادِلَ الموضوعيَّ لِمَا بين المكانين من التفاوت في الترف.

إنَّ الاتكاء على صورة نقفِ الحنظلِ لبيان أنَّ مقصدَ حسَّان منها التَّعريجُ على عقد المقارنة بين الحياة في الحجاز والحياة في مملكة الشام ليست تضخيماً لأمرٍ هيِّنٍ يقتصر على وصف شيءٍ من الحياة المنعَّمة في مملكة الغساسنة، هذه حقيقةٌ لها شواهدُها من قصائد أخرى من أشعار حسَّان في الشام، مما يؤكِّد أنها تحمل كلَّ تلك الدلائل التي أشرنا إليها من حضور المقارنة الضمنيَّة في وجدان الشاعر بين المكانين (الشام والحجاز)، وفي تلك الشواهد تأكيدٌ لا يداخله لَبْسٌ في أنَّ الشاعر إنَّما كان في هذه القصيدة متعمِّداً تلك الموازنة بين المكانين في سياق القسم الشامي من أشعاره فحسب، وكما جاءت هذه الموازنة المكانية على نحوٍ ضمنيٍّ تارةً، نجدها على نحوٍ صريحٍ في مواضعَ أخرى، فعلى سبيل المثال نجد حسَّانَ

---

[11] ابن سينا، النجاة، مطبعة مصر، القاهرة، 1331هـ، 45.

[12] انظر القصيدة: المصدر نفسه، 247.

في موضعٍ آخرَ من شعره يصرِّح من غير كنايةٍ بحضور هذين المكانين في مخيلته الشعريَّة لحظةَ إبداع القصيدة، فيلخِّص مشهدَ الحياة في الحجاز بصورة الحجاز رضيعِ الجوعِ والبؤسِ في معرض وصفِه لمظاهر الحياة المترفة في الشام[13]:

لَسنا برئمٍ ولا حَمْتٍ وَلا صَوَرى لَكِن بِمَرجٍ مِنَ الجَولانِ مَغروسِ

يُغدى عَلَينا بِراوُوقٍ[14] وَمُسْـــمِعَةٍ إنَّ الحِجازَ رَضيعُ الجوعِ وَالبوسِ[15]

في البيتين المذكورين آنفاً ذكرَ حسَّان ربوعَ الجولانِ من الشام، بمروجها الخضراء، وغَرْسِها الوفير، وقابلَ ذلك بأماكن هي مواضعُ لِديارٍ مُزينة من الحجاز ناحيةَ يثرب، منها: رئم وحَمْت وصورى[16]، ولا يخفى أنَّ هذه الأماكن هي المعادِلُ لحياة الشَّظَفِ في الحجاز، بشدَّة الحرِّ، وقلَّةِ الزَّرعِ، ثمَّ استدركَ الشاعر لحضور المكان الجديد بِـ: (لكن)، فنفى الحضور عمَّا قبلَ ذلك، وأثبتَه لِمَا بعدَه، فأوحى للسَّامع بما بين صدرِ البيت وعجزِه من مقابلة ضديَّةٍ بين الحجاز والشام، حتى إذا انصرفَ إلى البيت الذي يليه استحضرَ مجالسَ الرخاء في الشام، على وجه المقابلة لِمَا كانت عليه الحياة في الحجاز من الشدَّة، فأبدع تلك الاستعارة المعبِّرة عن الحال، إذ جعلَ الحجاز رضيعَ الجوعِ.

الوفاء للحجاز مع الابتهاج بحاضرة المُلك في الشَّام

هل في صورة رضيعِ الجوعِ ذَمٌّ للحجاز؟ وهل نقرأ في السياق الضمنيِّ لأمثال تلك الصورة دلالاتٍ أخرى لا تقتضي الوصفَ على سبيل القدح؟

إنَّ صورة الحجاز رضيع الجوع في سياق قراءتنا لأشعار حسَّان الشاميَّة هي وصفٌ لطبيعة الحياة بين المكانين، كما أسلفنا، لكنْ ينبغي أن لا ننسى أمثال هذه الأبيات هي من أشعار حسَّان في الجاهليَّة، ولذلك عقدَ الموازنة بين المكانين من جهة واقع الحال، فالحجاز في شعر حسَّان له أيضاً قيمُه الجماليَّة من جهة ارتباط الشاعر الوجدانيِّ به، ولذلك نشهد تحوُّلاً آخرَ ترتبط به القيمة الجماليَّة للحجاز مقترنةً بذكريات الشاعر فيه، كالذي يبدو في مشهد الطلل في مقدمة القصيدة ذاتها، بما يشتمل عليه من وصف الرسوم وبكاء الديار، وهنا يظهَرُ لنا المعنى الخفيُّ للتَّفضيلِ الجماليِّ للمكان، وهو نتيجةُ محمولٍ معرفيٍّ توارثَه الجاهليُّون في نظرتهم إلى الطلل، ولا يخفى أنَّ تلك القيم الجماليَّة ترتبط بموروثٍ فكريٍّ جماعيٍّ لديهم، وإنَّ: "مثلَ هذه التصوُّرات الجماليَّة هي إلى حدٍّ كبيرٍ نواتج لحقبةٍ تاريخيَّةٍ خاصَّةٍ"[17]، وحين نقرأ أمثال تلك المعاني التي وجدناها في شعر حسَّان ينبغي علينا أن نجعلها في سياقها العامِّ من القصيدة كلِّها، بذلك نجد أنَّ تصويره للحجاز على

---

[13] البيتان ذكرهما ياقوت الحموي في معجم البلدان، (رئم) 3/ 114. وهما من المستدرك على شعر حسَّان، وليسا في ديوانه، وذكرَ ابن عساكر البيتَ الثاني منهما، ونسبَهُ لحسَّان. انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، 1995م، 1/ 355.

[14] في تاريخ دمشق: برواية "...بناجودٍ ومُسْمِعَةٍ". انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، 1/ 355. النَّاجود: كلُّ إناءٍ يُجعل فيه الشراب. وقيل: هو الرَّاوُوق نفسُه، وهو أجود الخمر، وأوَّل ما يخرج من وعائها بعد فضِّ ختامِه، ونرجِّح هذا المعنى، لِقولِ الأصمعيِّ: "النَّاجُودُ أوَّل ما يخرج من الخمر إذا بُزِلَ عنها الدَّنُّ"، واستشهدَ عليه من بعضِ شعر العرب. للتفصيل انظر: ابن منظور، لسان العرب، (نجد) 3/ 419.

[15] البوس: البؤس، بتسهيل الهمز.

[16] للتفصيل: ياقوت الحموي، معجم البلدان، (رئم) 2/ 367، (حَمْت) 3/ 369، (صَوَرى) 3/ 114.

[17] شاكر عبد الحميد، التفضيل الجمالي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 2001م، 333.

أنَّه رضيع الجوع والبؤس يأتي في سياق وصف الحال، ولا يعدُّ ذمّاً للحجاز، إنَّها حكايةٌ لحقيقةٍ تاريخيَّةٍ لها شواهدُها من الأحوال الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة للمكان، وقد ذكرَ الرِّياشيُّ أنَّ رجلاً من مخزوم لم يعجبه قولُ حسَّان في الحجاز تعصُّباً، فردَّ عليه الرِّياشيُّ زعمَه وأنصفَ حسَّان، "قال الرِّياشيُّ: فقال رجلٌ من بني مخزوم كذبَ حسَّان، فقلْتُ له: حسَّان أولى بالحجاز منك"[18]، وهذا دليلٌ على أنَّ قولَ حسَّان في شعره هو حكايةٌ للحال، وليس محلَّ ذمٍّ، كما فَهِمَه بعضُ أهل التجني، ولو كان هجاءً للحجاز لما وقفَ حسَّان على أطلال الحجازِ يبكيها، ويصفُ رسومَها، ويستسقي لها في مطالع تلك القصائد.

كذلك عرضَ حسَّان مفاخرَ أهل المروءة في الحجاز، مثلما عرض مفاخرَ أهل المروءة في الشام، فجعل للعرب الحجازيين من الأخلاق ما للعرب الشاميين، فاشترَكا في المعجم الأخلاقيِّ لمعاني المدح المعروفة في الجاهليَّة، لكنه حين وقفَ على المكانين رصدَ تحوُّلات القيم الجماليَّة الحسيَّة، وهي مختلفة بينهما، فوجدَ أن للحياة في الحجاز مع الشظف جمالاً معنويّاً آخرَ يعوِّضُ الجمالَ الحسيَّ للشَّام، وذلك الجمالُ المعنويُّ تفرضُه الذاكرةُ العامَّة، والماضي المشتركُ المتَّصلُ بالعشيرة والمحبوبة وساكني الديار، حتَّى إذا خَلَت منهم لِقلَّة الكلأ، كان منَ الوفاءِ الوقوف على رسومها، ويبدو أنَّ الشَّاعرَ وجدَ في الشَّام من الرخاء ما يغني الغساسنةَ عن الرحيل طلباً للكلأ، ووجد في مُلك الغساسنة ما يحملهم على دوافع الاستقرار في المكان، وذلك ما افتقر إليه المكانُ في الحجاز.

إنَّ تحوُّلَ الشَّاعرِ إلى القيم الجماليَّة للمكان الجديد من منظور الحياة المدنيَّة يوافقُ المنهجَ الواقعيَّ في الشعر، لكنَّه في معرض وصف الحياة في الحجاز يتنازعُه شعوران، شعورُ قسوة الحياة فيه، وشعورُ الوفاء له، بوصفه محل العشيرة، يظهَرُ ذلك في رسم صورة العاشق المحبِّ، لذلك لم يغفَلْ حسَّانُ خلال انبهاره برخاء الحياة في الشام، في معرض ذكرِه لجمالها ومحلِّ المُلك فيها، أن يستعرض فخرَه بنفسِه، وبأهلِ الحجازِ، في حضرة الغساسنة الشاميين[19]:

نَسَبي أَصيلٌ في الكِرامِ وَمِذوَدي تَكوي مَواسِمُهُ جُنوبَ المُصطَلي

وَلَقَد تُقَلِّدُنا العَشـــيرَةُ أَمرَها وَنَســـودُ يَومَ النَّائِباتِ وَنَعتَلي

وَتَزورُ أَبوابَ المُلوكِ رِكـــابُـــنا وَمَتى نُحَكَّـــم في البَرِيَّةِ نَعـدِلِ

وَفَتًى يُحِبُّ الحَمدَ يَجعَـــلُ مالَهُ مِن دونِ والِدِهِ وَإِن لَم يُســـأَلِ

يُعطي العَشـــيرَةَ حَقَّها وَيَزيدُها وَيَحوطُها في النَّائِباتِ المُعضِـلِ

هذا المعجم اللفظيُّ متَّصلٌ بالتفصيلات الاجتماعية للحياة في الحجاز، بما يشتمل عليه من القيم الجماليَّة المعنويَّة ذات المنحى الأخلاقيِّ، فالجمالُ عند العرب في أصلِ محلِّه كامنٌ في الصور المعنويَّة من الأفعال والأخلاق، قبل أن يكون في المدرَك الحسيِّ؛ لذلك قال أبو هلالٍ العسكريُّ في الفروق: "الجمالُ في الأصل للأفعال والأخلاق والأحوال ثم استُعمِلَ في

[18] ابن عساكر، تاريخ دمشق، 1/ 355.

[19] حسَّان بن ثابت، ديوانه، 250.

الصورة"[20]، وعلى ذلك تفرض القيم الجماليَّة المعنويَّة حضورَها من جهة الارتباط الوجدانيِّ بالمكان – على ما فيه من القحط – بأنَّه محلُّ الذكريات، ومنزل العشيرة.

من ذلك المنطلق يكرِّر حسَّان لفظ (العشيرة) في الأبيات في معرض الفخر في القسم الشامي من قصيدته، بعد مُضِيِّهِ في مدح الغساسنة، وقد قصدَ من ذلك رسْمَ القيم الجمالية للمكانين – الشام والحجاز – بما لكلٍّ منهما من مزايا، حتَّى إنَّ تلك المفاخرَ العشائريَّةَ جعلتْه وقومَه أهلاً لأنْ يزوروا أبوابَ الملوك، لا أنْ يقفوا عليها وقوفَ المستجدي للعطيَّة (وَتَزورُ أَبوابَ المُلوكِ رِكابُنا).

إن للشام جمالها في شعر حسَّان بما فيها من الطبيعة التي تأخذُ بألباب الناظرين، مروجها وأنهرها وثلوجها، وطِيب العيش فيها، وما فيها من مظاهر الملك والأبنية والهياكل والقصور المشيدة والحوانيت[21]:

فَلَقَـد يَراني موعِـدِيَّ كَأَنَّـــني في قَصرِ دُومَةَ أَو سَــواءِ الهَيكَلِ

وتفرض هذه الأماكن سلطتَها بقوة الجمال الظاهر في المدرَك الحسيّ، ولذلك يعطيها الشاعر ما لها من ذلك الحقِّ عليه في معرض الوصف، لكنَّنا في سياق ذلك نلمس تحوُّلاً من الشاعر نحو القيم الجماليَّة للحجاز أيضاً، وهي قيم جمالية غير حسيَّةٍ، فَرَضَت عليه قبل ذلك البيت السَّابقِ صورةَ مشهدَين مختلفَين للحجاز، مشهد المعاناة الحسيَّة بالحياة القاسية فيه، ومشهد الالتذاذ الروحي بجماله المرتبطِ بالمحمول من ماضي الذاكرة فيه، وبهذه القيمة الجماليَّة المعنويَّة يتحوَّل المكان القاحلُ إلى شيءٍ جميلٍ بما له من رصيد الذكريات فيه، لذلك يتَّقد في صدر حسَّان الحنين إلى الحجاز على قسوته؛ لأنَّ جمالَ المكان فيه مقترن بقيمٍ جماليَّةٍ روحيَّة، من مثل ارتباط العاشق بصاحبة الطلل الدارس الذي وقفَ عليه في مطلع القصيدة، هكذا يصبح المكان الذي هو رضيع الجوع والبؤس مكاناً يُسقَى بشوقِ القلوبِ إليه، فتَتَحَرَّقُ القلوب حنيناً إليه، على الرغم من قسوة الحياة فيه، وترتبط مثل هذه القيم الجماليَّة بعواملَ نفسيَّة تدفع إلى الارتباط الوجداني بالمكان الخراب، أو بالمكان القاحل، وأمثال تلك المشاعر والأحاسيس، تجعلنا "مدفوعين أحياناً إلى البحث عن مشاعر غريبة من شأنها أن تفتح لنا أبوابَ كنوزٍ عاطفيَّةٍ، فيها من صفاء الجوهر وخصائص السُّموِّ والعظمة ما يجعلها تبعث في داخلنا خلال مرحلة معينة كلَّ ما نودُّ أن نراه ممتزجاً بِلُحْمَةِ وجودِنا وَسَداهُ"[22]، ومن دون ذلك لا يمكننا أن نصل إلى إدراك خفايا الوجدان الشعري.

مشهدٌ آخر في القصيدة اللامية المذكورة سابقاً جديرٌ بأن نقف عليه، هو مشهد خمريَّاتِ حسَّان في الشام، وهو مشهدٌ محاطٌ بأبَّهة الترف في ربوعها المنعَّمة[23]:

وَلَقَد شَـرِبتُ الخَمرَ في حانوتِها صَهبـــــاءَ صافِيَةً كَطَعمِ الفُلفُلِ

---

[20] أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق محمَّد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، مصر، د.ت، 1/ 262.

[21] حسَّان بن ثابت، ديوانه، 249.

[22] سوريو إتيان، الجمالية عبر العصور، ترجمة ميشال عاصي، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 1982م، 21.

[23] حسَّان بن ثابت، ديوانه، 249– 250.

كِلتاهُما حَلَــبُ العَصيرِ فَعاطِني بِزُجاجَةٍ أَرخـاهُمـــا لِلمَفصِـلِ

باكَرتُ لَذَّتَها وَما ماطَلتُهـــــا بِزُجاجَةٍ مِن خَيرِ كَــرمٍ أَهـــدَلِ

أن تكون تلك الخمرُ الشاميَّةُ صهباءَ صافيةً لها مذاق الفلفل، فتلك صفاتٌ مشتركة لكلِّ خمرٍ في الجاهلية، حجازيَّة كانت أم شآميَّة، أمَّا أن يضفيَ الشاعر عليها صفاتٍ أخرى تشفُّ عن بيئة الشام المترفة فهذا تحوُّلٌ جماليٌّ في الوصف الحسيِّ تفرضُه طبيعةُ المكان الجديد. إنَّها من خير كُرومِ العنبِ الشَّاميِّ (مِن خَيرِ كَــرمٍ أَهــدَلِ)، وقد شرعَ الشاعر في وصفها بعد أن ذكر قصرَ دُومةَ وهَيكلَ غسَّان في الشام.

لا يقتصر استحضار صورة نَقْفِ الحنظل على القصيدة اللاميَّة، إذ نجد هذه الصورة في قصائد أخرى، كما في النونيَّة التي ذكرَ حسَّان في مطلعها اليرموكَ والجولانَ والقُريَّات ودارِيَّا، وكلُّها مواضعُ في الشَّام، ففي القصيدة النونيَّة ينتقل حسَّان بعد المقدمة، التي استهلَّ بها قصيدتَه، إلى ذِكْرِ الشَّام، ووَصْفِ اجتماعِ النَّاسِ ليومِ الفِصْحِ، وإنَّما ذكَرَ الفِصحَ لأنَّ الغساسنة الشاميين كانوا في موالاة الروم زمنَ الجاهلية، وقد أخذوا عنهم عاداتهم[24]:

تِلكَ دارُ العَزيزِ بَعدَ أَنيـــــسٍ وَحُلولٍ عَظيمَـــةِ الأَركــانِ

هَبِلَت أُمُّهُـــم[25] وَقَد هَبِلَتهُـــم يَومَ حَلّوا بِحــارِثِ الجَــولانِ

قَد دَنا الفِصحُ فَالوَلائِدُ يَنظِـمْـ ـنَ قُعوداً أَكِلَّـةَ المَرْجـــــانِ

يَجتَنينَ الجادِيَّ[26] في نُقَبِ الرَّيــ ـطِ[27] عَلَيها مَجاسِـــدُ[28] الكَتّانِ

لا يُعَلَّلنَ بِالمَغـافِـرِ[29] وَالصَّــمْـ ـغِ، وَلا نَقْفِ حَنظَلِ الشَّــريانِ

ذاكَ مَغنًى مِن آلِ جَفنَةَ في الدَّهـ ـرِ، وَحَقٌّ تَعــاقُـبُ الأَزمــانِ

قَد أَراني هُنـــــاكَ حَقُّ مَكينٍ عِندَ ذي التَّاجِ مَجلِسي وَمَكاني

يستحضر حسَّان في البيتين الرابع والخامس من هذه الأبيات صورتين متقابلتين للحياة في الحجاز، والحياة في الشام، فالولائد في الشام ينظمْنَ الحلي والجواهر في الأَكِلَّةِ، ويجتنين الزَّعفرانَ في ثيابٍ رقيقةٍ مُنعْمَة، ولا يجتنين صمغَ نباتِ العُرْفط لِيُشرَب، ولا يلتقطْنَ الحنظلَ عن شجره المعروف بالشَّريان لاستخراج ما فيه للأقوات أيَّام الشدَّة، ثمَّ يتحدَّث حسَّان عن

---

[24] المصدر نفسه، 243- 244.

[25] هَبِلَت أمُّهم: ثَكِلَتْهم، وهو من أساليبِ العرب في الكلام، لا يُراد به الدُّعاء عليهم على وجهِ الحقيقةِ، ولا يُضمُّ أوَّله، وإنْ كان القياسُ عليه، فلا يُقال: هُبلت. ابن منظور، لسان العرب، (هبل) 11/ 686.

[26] الجاديُّ: الزَّعفران، منه جادِيَةُ: قريةٌ بالشام ينبتُ بها الزَّعفران. ابن منظور، لسان العرب، (جدا) 14/ 136.

[27] نَقْبُ الرَّيط: جيوبُها، والرَّيط ضربٌ من الثياب ليّنة رقيقة بيضاء.

[28] المجاسد: القمصان، مفرده مِجْسَد.

[29] المَغافِرُ: صَمغٌ شبيهٌ بالنَّاطِفِ، يُنْضَح بالماء، فيُشْرَبُ. ابن منظور، لسان العرب، (غفر) 5/ 28.

مجلسه في حضرة ملوك الغساسنة من ذوي التيجان، وهذه الصورة التي قامت على التقابل بين الحياة في الحجاز والشام هي نظير ما وجدناه سابقاً في قصيدته اللاميَّة، وهي صورةٌ فرضَتْها ذاكرةُ حسَّان المثقلة بطبيعة الحياة القاسية في الحجاز، على غير مقصد الذمِّ أو القدح؛ لأنَّ ذاكرة الشاعر حملَتْ رديفاً من القيم الجماليَّة الروحيَّة على سبيل التعويض للمكان الموصوف، وهي قيم الارتباط الوجدانيِّ بالمكان، بوصفه ديار الخزرج هناك، وديار الأهل والأحبَّة، على الرغم من أنَّ حسَّان يتَّصل نسبُه أيضاً بالغساسنة الشاميين[30]:

إمَّا ســـألْتَ فإنَّا مَعْشَــرٌ نُجُبٌ فَالأسْــدُ[31] نسبتُنا وَالماءُ غَسَّــانُ[32]

شُـــمُّ الأُنوفِ لَهُم مَجدٌ وَمَكرَمَةٌ كانَت لَهُم كَجِبـــالِ الطَّودِ أَركانُ

فرضَ تغيُّرُ المكانِ تغيُّراً في معجم الوصف، لكنَّ الشاعر ظلَّ يجمع في شعره الشامي بين ما للشام من خصوصية التنعُّمِ، مقارنةً بما للحجاز، كذلك جمعَ معاني الفخرِ المشتركة بين الشاميين والحجازيين في معجم واحدٍ، من فخرٍ بالكرم والمروءة والنسب والشجاعة، مع إبراز ما للشام من خصوصيَّةٍ في العمران والترف بوصفها حاضرةَ المُلك[33]:

دِيارُ مُلوكٍ قَد أَراهُم بِغِبطَـــةٍ زَمانَ عَمــــودُ المُلكِ لَم يَتَهَدَّمِ

لَدى كُلِّ بُنيانٍ رَفيعٍ وَمَجلِــسٍ نَشاوى وَكَأسٍ أُخلِصَت لَم تَصَوَّمِ

وفي سياق ذلك المعجم المدحيِّ بآل جفنةَ يُبرِزُ حسَّانُ قربَ مجلسِه من مقام المَلكِ لديهم، فيذكر أنَّ المَلكَ الغسَّانيَّ أكرمَ وفادتَه عليه بضربٍ من الخمر شديدة الإسكارِ غاليةِ الأثمانِ، تُسمَّى الخُرطوم[34]:

إِنَّ ابنَ جَفنَةَ مِن بَقِيَّةِ مَعشَرٍ لَم يَغْـذُهُـم آبـاؤُهُم بِاللُّومِ[35]

يُعطي الجَزيلَ وَلا يَراهُ عِنـدَهُ إِلّا كَبَعضِ عَطِيَّـــةِ المَذمومِ

وَأَتَيتُهُ يَوماً فَقَـرَّبَ مَجلِســـي وَسَـــقى فَرَوّاني مِنَ الخُرطومِ[36]

يسود معجم الترف في الشعر الشامي لحسَّان، يبدو ذلك في تصويرِ جانبِ التمدُّنِ من حياة الغساسنة، والترف في معيشتهم، إنَّهم سادةٌ مترفون، لا يشربون لَبن المَعزِ، لِكثرةِ الضَّأنِ من أنعامهم، وإذا حضروا تُعقَد لهم مجالسُ الشراب، فيطاف عليهم فيها بالكؤوس والأكواب[37]:

---

[30] حسَّان بن ثابت، ديوانه، 242.

[31] كذا في ديوانه: 242، تحريفٌ عن "فَالأَزْدُ"؛ لأنَّ بني جَفنةَ منسوبون إليهم. ورواية عجزِ البيت في الأغاني: "فَالأَزْدُ نسبتُنا...". أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الفكر، بيروت، ط2، د.ت، 16/ 51.

[32] حسَّان بن ثابت، ديوانه، 242.

[33] حسَّان بن ثابت، ديوانه، 318.

[34] المصدر نفسه، 321.

[35] اللّوم: اللّؤم، بتسهيل الهمز.

[36] الخُرطوم: الخمر السَّريعةُ الإسكارِ، وقيل: هو أَول ما يجري من العِنَبِ قبل أَن يُداسَ. ابن منظور، لسان العرب، (خرطم) 12/ 174.

إِنّي حَلَفتُ يَميناً غَيرَ كاذِبَةٍ لَو كانَ لِلحارِثِ الجَفنِيِّ أَصحابُ

مِنْ جِذْمِ غَسَّانَ[38] مُستَرخٍ حَمائِلُهُم لا يُغبَقونَ مِنَ المِعْزَى[39] إِذا آبوا

كانوا إِذا حَضَروا شِيبَ العُقارُ[40] لَهُم وَطِيفَ فيهِم بِأَكواسٍ وَأَكوابِ

ومن مظاهر الترف في ظلِّ ملوك الغساسنة استجلابُ خمرتهم من المحالِّ الشاميَّة المعروفة بها، من مثل (بيت رأس) أو (بَيسانَ) في غَور الشام، تكون مختومةً مُعتَّقةً سنينَ، ثمَّ تُحمَل إلى مجالسهم في قصورهم المشيدة من الرخام، فيسعى بها إليهم من السُّقاة خَدَمٌ تحلَّوا بأجمل الثياب الدالَّةِ على حضرة المُلكِ، ولهم من الصفات ما ينبئ عن أرومتهم[41]:

شُجَّت بِصَهباءَ لَها سَورَةٌ[42] مِن بَيتِ رَأسٍ[43] عُتِّقَت في الخِتامْ

نَشرَبُها صِرفاً وَمَمزوجَةً ثُمَّ نُغَنّى في بُيوتِ الرُّخامْ

مِن خَمرِ بَيسانَ[44] تَخَيَّرتُها تِرياقَةً[45] توشِكُ فَترَ العِظامْ

يَسعى بِها أَحمَرُ ذو بُرنُسٍ مُختَلَقُ الذِّفْرى[46] شَديدُ الحِزام

على هذا النَّسق من إبراز مظاهر الرخاء جرى شعرُ حسَّان الغزليُّ في الشام، نجد ذلك مثلاً في إحدى قصائده التي أفاض فيها في وصف جارية بدَت في ساحة القصر[47]:

وَحَلَفتُ لا أَنسى حَديثَكِ ما ذَكَرَ الغَوِيُّ لَذاذَةَ الخَمرِ

وَلَأَنتِ أَحسَنُ إِذ بَرَزتِ لَنا يَومَ الخُروجِ بِساحَةِ القَصرِ

مِن دُرَّةٍ أَغلى المُلوكُ بِها مِمّا تَرَبَّبَ حائِرُ البَحرِ

---

37 حسَّان بن ثابت، ديوانه، 34- 35.

38 مِنْ جِذْمِ غَسَّانَ: مِن أصلِهم، وجِذْمُ القوم أصلُهم.

39 لا يُغبَقونَ مِنَ المِعْزَى: أي لا يشربون لبنَها، والغُبوق: شرب العشيِّ. المِعزى: خِلاف الضَّأن.

40 العُقار: الخمر التي لا تَلْبَثُ أن تُسْكِر.

41 حسَّان بن ثابت، ديوانه، 312.

42 سَورَةُ الخمر: حِدَّتُها وسطوتُها، وقوله: "شُجَّت بِصَهباءَ" أي: مُزِجَت بها.

43 بيت رأس: موضع في الشام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م، 148.

44 بَيسان: موضعٌ فيه كُروم من بلاد الشام بالغَور. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 147.

45 ترياقة: صفة للخمر، أي تشفي من الهمِّ، والتِّرياقُ الدَّواءُ للسُّمِّ.

46 مُختَلَقُ الذِّفْرى: العظيمُ الخَلْقِ، والشابُّ الطويلُ التامُّ الجَلْدُ. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005م، (ذفر) 1/ 396.

47 حسَّان بن ثابت، ديوانه، 143.

هذه الجارية أحسنُ لدى حسَّانَ مِن درَّةٍ تفتَّقَ عنها الصَّدفُ، ممَّا أنتجَه قاعُ البحر حيث مجتمع ماءِ القعرِ منه، ثمَّ اجتبى الملوكُ تلك الدرَّة، وبذلوا فيها نفيسَ أموالهم. جاءت هذه الصورة على التمثيل، وانتظمَ نسقُها في للدلالة على مظهَر الرفاه في قصور الشاميين، وتشفُّ هذه الصورة الغزليَّة عن قسيمٍ من الرَّغَدِ الذي عاينَه الشاعر في الشام.

يمضي حسَّانُ بعد ذلك في وصفه لتلك الجارية بمعجم لغويٍّ يناسب البيئة الشاميَّة في مملكة الغساسنة، فيربط بين معجم الغزل ومعجم المُلك، ويجعل جمالَها المحسوسَ فوق ما للدُّرر من الجمال، ممَّا يدلُّ على أصالة محلِّها من الجمال، كما دلَّ المجد والفخرُ على أصالة الغساسنة في الملك[48]:

تَنمي كَما تَنمي أَرومَتُـهـــــــــا   بِمَحَـــلِّ أَهـــلِ المجـــــدِ وَالفَخـرِ

إن نظرة حسَّان إلى حياة النعيم في الشام تبقى محصورةً في إطارٍ ما للمكان من قِيمٍ جماليَّةٍ ماديَّةٍ محسوسة، في حين تُفضي المعاييرُ الجماليَّةُ للحجاز إلى معجمٍ من القيم الجماليَّة المعنويَّة المرتبطة بذاكرة الشاعر في المكان، نلمس هذه الدلالة في مواطنَ شتَّى من أشعار حسَّانَ التي تكشف عن تحوُّلات القيم الجماليَّة في الحجاز والشام، نحو قوله[49]:

أَجدَّكَ لَم تَهتَــــج لِرَســـمِ المَنازِلِ   وَدارِ مُلوكٍ فَوقَ ذاتِ السَّـلاسِـلِ

تَجودُ الثُّـرَيَّا فَوقَهــــــــا وَتَضَمَّنَت   لَها بَرَداً يذري أُصـــولَ الأَســــافِلِ

إِذا عَذِراتُ الحَيِّ كانَ نِتـــاجُهـــا   كُرومـــاً تَـدَلّى فَوقَ أَعـرَفَ مائِـلِ

دِيـــــارٌ زَهاهـــا اللَهُ لَم يَعتَلِـج بِها   رِعــــاءُ الشَّـوِيِّ مِن وَراءِ السَّوائِلِ

يُثْبِتُ حسَّانُ على سبيل الاستفهام التعجبيِّ في صدر البيت الأوَّلِ من القصيدة هياجَ قلبِه للرُّسوم الحجازيَّة في طريق رحلة العودة قافلاً من الشام إلى الحجاز، لكنه في عَجُزِ البيت يعطف على ذلك الهياج على سبيل المشاركة، فيجعله أيضاً شوقاً إلى الديار الشاميَّة حيث مُلك الغساسنة، ويبدو أنَّ الدعاء بالسُّقيا كان قسيماً بينهما، لكنه حين مضى إلى وصف مملكة الغساسنة جعلَها دياراً زاهيةً، تتدلَّى فيها الكروم، وهي ديارٌ لم يعتلج أهلوها في السعي وراء الرزق، ولم يزاولوا فيها رعيَ الشَّاءِ، والارتحال وراء المياه في المسايلِ طلباً للكلأ، لأنهم أهلُ حاضرة المُلك، وفي ربوع مملكتهم ما يُغنيهم عن طلبِ منابت الكلأ.

كذلك يبدو حسَّان معجباً بصورة الثَّلج الذي رآه في الشام، وذكرَه في شعره غيرَ مرَّةٍ، وقد رآه في محالّ عدَّة، ولا سيَّما في ما يُسمَّى في أيَّامنا بجبل الشَّيخِ، الممتدِّ من بانياس وسهلِ الحولة إلى وادي القرن، ويبدو أن حسَّان أدرك الثَّلجَ عليه قِطعاً كالقِدِدِ أوائلَ الصيف، وسمَّاه في شعره جبلَ الثَّلج، كما كان يسمِّيه العربُ قديماً[50]:

انظُــرْ خَليلي بِبَطنِ جِلِّقَ هَــــــل   تُؤنِـسُ دونَ البَلقــــاءِ[51] مِن أَحَـدِ

---

[48] حسَّان بن ثابت، ديوانه، 142.

[49] المصدر نفسه، 285- 286.

[50] حسَّان بن ثابت، ديوانه، 99- 100.

يَحمِـلنَ حُـــوّاً حورَ المدامِعِ في الرْ رَيطِ وَبيضَ الوُجـــــوهِ كَالبَـرَدِ

مِن دونِ بُصرى وَخَلفَها جَبَلُ الثَّلـ ـجِ عَلَيهِ السَّـــــحابُ كَالقِدَدِ

يبدو حسَّان في هذه الأبيات قافلاً من الشام إلى الحجاز، يستوقفُ خليلَه لِنظرة الوادع للشام، ثمَّ يسأله إنْ رأى ظعنَ المحبوبة دون البلقاء ببطنِ دمشقَ (جِلَّق)، ويرسم صورةً غزليَّةً متخيَّلةً لِرَكْبِ الظَّعنِ، ويسمِّي الأمكنةَ على عادة الجاهليِّين، ثمَّ ينصرف إلى وصف ما يحمله الظعن من حُورٍ بيضِ الوجوهِ في ثياب الرَّيطِ اللينة الناعمة، ويجمع بين صورتين متناظرتين، صورةِ الوجوهِ البيض، كأنَّها حبُّ البَرَدِ، وصورةِ جبلِ الشَّيخ وقد بسطَ عليه الثَّلجُ ما بقيَ منه، من قطعٍ متفرِّقةٍ تغطِّي رأسَ قمَّته حتى مطالع الصيف.

ظهرَ اسمُ جبلِ الثَّلج في شعر حسَّان في معرض الغزلِ حين قفولِه من أرض الغساسنة في الشام إلى الحجاز، كذلك ظهرَ في موطن الفخر بِمَلكَين من ملوك الغساسنة اتَّسع ملكُهما في الشام في ذلك الأوان، هما حجر بن النُّعمان بن الحرث بن أبي شمر الغسَّانيُ، وعمرو بن امرئ القيس، وجعلَ حسَّان مبتدَأَ امتدادِ مُلكِهما من جبل الثلج، إلى (أَيلَةَ) من فلسطين، ثمَّ إلى الداخل حتَّى مشارفِ العراق، وذكرَ أنَّهما قاتلا فارسَ في دارها، وفخرَ بِسَعَة مُلكِهما بالشَّام، فقال[52]:

مَلَكا مِن جَبَــلِ الثَّلجِ إِلى جــانِبَي أَيلَةَ[53] مِن عَبدٍ وَحُرّ

ثُمَّ كانا خَيرَ مَن نالَ النَّدى سَــبَقا النَّاسَ بِإِقساطٍ وَبِرّ

أَتَيـا فارِسَ في دارِهِـــــمِ فَتَنَـــاهَوا بَعدَ إِعصامٍ بِقُرّ[54]

ثُمَّ صاحا يا لَغَسَّانَ اصبِروا إِنَّهُ يَومُ مَصـــاليتَ[55] صُبُرْ

إنَّ فكرةَ تحوُّلِ القيمِ الجماليَّةِ بين الشام والحجاز في شعر حسَّان تتقلَّب بين منظومتين من العلاقات الجماليَّة، ما للشام من طِيب العيش فيها، وهذه منظومة الجمال الحسيِّ، ثمَّ ما للحجاز من حقِّ الوفاءِ له، وهذه منظومة الجمالِ الرُّوحي، وما المقارنة بين الشام والحجاز سوى وصفٍ لواقع الحالِ في الحجاز، من قلَّة المواردِ فيه، وضيقِ العيش على أهله، من غير ذمٍّ لحياة البداوة التي عَهِدَها فيه، فهو حين يقف على أطلال الأحبَّةِ تحملُه الذاكرة إلى زمنٍ رَغْدٍ أيضاً، لكنَّه معنويٌّ، وهذه قيمةٌ جماليَّةٌ لا يمكننا أن ننكر أثرَها في قصائده، تلك هي حقيقةُ علاقةِ حسَّان بالمكان، إنَّها علاقة جدليَّةٌ تتناوب بين الحسيِّ وغير الحسي، إذ يحملُ الشَّاعرَ إلى المكانِ الدَّارسِ حِمْلٌ ثقيلٌ من الذكريات التي عاشها فيه، إنَّه نوعٌ من

[51] البلقاء: كورة من أعمال الشام، لها قرى كثيرة تتبع لها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بلق)، 1/ 489.

[52] حسَّان بن ثابت، ديوانه، 168- 170.

[53] أَيْلَة: مدينة على ساحل بحر القلزم (الأحمر حاليا) ممَّا يلي الشام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/ 292.

[54] بِقُرٍّ: بِقرار، المعنى أنه شدَّ على فارسَ في الحرب، حتَّى صارَت الشدَّةُ عليهم إلى قرارها بعد استعصامٍ منهم.

[55] مصاليتُ، مفرده مِصْلَت، وهو الشجاع الماضي في أمره.

الالتذاذ بالعذابِ وفاءً للذكريات الغابرة، ذكرياتِ المُحِبِّ للمكان ولِساكنيه، بذلك يغدو المكانُ رصيداً جماليّاً في القصيدة مرتبطاً بذاكرة الشاعر ووجدانِه الحيِّ[56]:

أَوحَـشَ الجُنبُذانَ فَالدَّيرُ مِنها فَقُــراها فَالمَنْـزِلُ المَحظــورُ

أَسكُنُ البَدوَ ما أَقَمتِ بِبَـدوٍ فَإِذا ما حَضَرت طابَ الحُضورُ

أَيُّ عَيشٍ أَلَذُّهُ لَســــتِ فيهِ أَو تُرى نِعمَــةٌ بِهِ وَسُــــرورُ

على هذا النَّحوِ مضى حسَّان في التعبير عن الجانب الحضاريِّ من الشام في شعره الذي نظمَه في الجاهلية، إذ تتناوب في أشعاره القيم الجماليَّة التي تصوِّر حياةَ التمدُّن في الشام، وفي سياق ذلك لابدَّ أن نجد جانباً من البداوة حاضراً في دَرْجِ قصائده الشاميَّة، يأتي من باب المقابلة بين مكانين، غير أنَّ حسَّان يحمل في السياق ذاته صورةً مشتركةً من القيم الجماليَّة الأخلاقيَّة التي يتشارك فيها المكانان، الحجازيُّ والشاميُّ، فضلاً عن صورةٍ مشتركةٍ من النوازع المعنوية التي تُظهِر ارتباطَه الوجدانيَّ بالحجاز، مع انبهارِه بنمط الجمال الحسيّ في الشَّام.

الخاتمة والنَّتائج

حسانُ بن ثابتٍ شاعرٌ مخضرمٌ، غير أنَّ هذه الدراسة التفتَتْ إلى جانبٍ من شعره الجاهليِّ مهمٍّ، هو شعره الشاميُّ الذي ذكرَ فيه الحجاز، وقد خَلُصنا إلى أن حسَّان أبدعَ في رسمِ صورٍ لِتحوُّلات القيم الجماليَّة بين المكانين، الشَّامِ والحجازِ، و ظهرَ البناءُ الجماليُّ في ذلك القسم من شعره في صورة نمطَينِ من الجمال، جمالٍ حسيٍّ ظاهرٍ يقتصر على معرفة المدرَك بالحواس، وجمالٍ داخليٍّ ضمنيٍّ يتجاوز معرفةَ المدرَك الحسيِّ إلى المدرَك المعنويِّ ذي العلاقة الروحيَّة بالشَّاعر, ولاحظْنا مشاهدَ من الحياة في الحجاز والحياةِ في الشام وقد ارتسمَت فيها صورتان تُظهِران البداوةَ والتمدُّن من جوانب عدَّة، فمن جهة القيم الجماليَّة الأخلاقيَّة عرضَ حسَّان مفاخرَ أهل المروءة في الحجاز، مثلما عرضَ مفاخرَ أهل المروءة في الشام، فاشتركَ أهلُ الشام وأهل الحجاز في المعجم الأخلاقيِّ لمعاني المدح المعروفة في الجاهليَّة، لكنَّه حين وقفَ على المكانين رصدَ تحوُّلاتِ القيم الجماليَّة الحسيَّة بينهما أيضاً، فوجدَ أن للحياة في الحجاز مع الشظف جمالاً معنويّاً آخرَ يعوِّضُ الجمالَ الحسيَّ في الشَّام، وذلك الجمالُ المعنويُّ تفرضُه ذاكرةُ الجماعة، أي الماضي المشترَك المتَّصل بالعشيرة والمحبوبة وساكني تلك الديار، كذلك للشام جمالُها الحسيُّ في شعره، بما فيها من جمال الطبيعة، بمروجها وأنهرها وثلوجها وطِيب الحياة فيها، ومظاهر الملك والأبنية والهياكل، وقد ظهرَ جانبُ حياة التمدُّنِ في الشام في شعره في موضوعَي الخمر والغزل، بما وجدناه في هذين الموضوعَين من معجم الترف والحياة المنعمة في الشَّام، في حين تعرَّض الشاعر للحجاز من جانبين، جانبِ المعاناة الحسيَّة بالحياة القاسية، وجانبِ الالتذاذِ الروحيِّ بجماله المرتبطِ بالمحمولِ من ماضي الذاكرة فيه، وبهذه القيمة الجماليَّة المعنويَّة يتحوَّل المكان القاحلُ إلى شيءٍ جميلٍ بما له من رصيد الذكرياتِ فيه، وهكذا ظهرَت فكرة تحوُّلِ القيمِ الجماليَّةِ بين الشام والحجاز في شعر حسَّان في منظومتين من العلاقات الجماليَّة، منظومةِ الجمال الحسيِّ في الشام، ومنظومةِ الجمالِ الرُّوحي في الحجاز على الرغم من قسوة الحياة فيه.

[56] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 6/ 37.

المصادر والمراجع

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد، *الأغاني*. بيروت: دار الفكر، ط2، د.ت.

إتيان، سوريو، *الجمالية عبر العصور*، ترجمة ميشال عاصي. بيروت: منشورات عويدات، ط2، 1982م.

ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن محمد بن أحمد، *جمهرة أنساب العرب*. تحقيق عبد السلام هارون، مصر: دار المعارف المصرية، ط5، د.ت.

حسَّان بن ثابت الأنصاري الخزرجي، *ديوانه*. مصر: مطبعة السعادة، 1331هـ.

ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن، *النجاة*. القاهرة: مطبعة مصر، 1331هـ.

عبد الحميد، شاكر، *التفضيل الجمالي*. الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2001م.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي، *تاريخ دمشق*. دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر، 1995م.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، *الفروق اللغوية*، تحقيق محمَّد إبراهيم سليم. مصر: دار العلم والثقافة، د.ت.

الفيروز آبادي، أبو طاهر مجيد الدين محمد بن يعقوب، *القاموس المحيط*. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط8، 2005م.

القرطبي، أبو الحسن اليمني، *التعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب*. القاهرة: دار المنار، 1990م.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، *لسان العرب*. بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ.

ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، *معجم البلدان*. بيروت: دار صادر، ط2، 1995م.

Kaynakça

el-İsfahânî, Ebu'l-Farac. *el-Eğânî*. Beyrut: Dâru'l-Fikr, 2. Basım, ts.

Souriau, Étienne. *el-Cemâliyyetü abre'l-usûr*. çev. Mişel Âsî. Beyrut: Menşûrât Uveydât, 2. Basım, 1982.

el-Endülüsi, İbn Hazm. *Camharatü ensabi'l-Arab*. thk. Abdusselâm Hârûn. Kahire: Dâru'l-Maarifi'l-Mısriyye, 5. Basım, ts.

el-Hazrecî, Hassân bin Sâbit. *Dîvân*. Kahire: Matbaatü's-Saâde, 1331.

İbn Sînâ, Ebû Alî. *En-Necât*. Kahire: Matbaatü Mısır, 1331.

Abdülhamîd, Şâkir. *Et-Tefdîlü'l-Cemâlî*. Kuveyt: Âlemü'l-Marife, 2001.

ed-Dımeşkî, İbn Asâkir. *Tarîhü Dımeşk*. Dımeşk: Dâru'l-Fikr, 1995.

el-Askerî, Ebû Hilâl. *el-Furûku'l-Luğaviyye*. thk. Muhammed Selîm. Kahire: Dâru'l-İlm ve's-Sakafa, ts.

el-Feyrûz, Abâdî. *el-Kâmûsu'l-Muhît*. Beyrut: Muessetü'r-Risâle, 8. Basım, 2005.

el-Kurtubî, Ebu'l-Hasan. *et-Tarîf Bi'l-Ensâb*. Kahire: Dâru'l-Menâr, 1990.

İbn Manzûr, Ebu'l-Fazl. *Lisânü'l-Arab*. Beyrut: Dâru Sâdır, 3. Basım, 1414.

el-Hamevî, Yâkût. *Mucemü'l-Büldân*. Beyrut: Dâru Sâdır, 2. Basım, 1995.